

جَبَانٌ

للقصصى الفرنسى دى موباسان
بقلم السيد محمد العزاوى

وفى إحدى الأماسى
اصطحب صديقتين إلى
مسرح واصطحب
معهما زوجيهما. وبعد
أن انتهى التمثيل
دعاهم إلى مشرب
«تورتونى» ليتناولوا
بعض مرطبات.
ولم يلبثوا فى المشرب

إلا قليلاً حتى أخذ أحد الجلساء يتحدث فى
وجه إحدى صديقتيه بوقاحة وشره. وبدأ على وجه
العادة قلق واضطراب فغضت من بصرها، ونادت
زوجها:

— إن هذا الرجل يتحدث فى وجهى. وإنى
أجهله، فهل تعرفه؟
فصعد الزوج الماغل فيه نظرة وأجابه: ثم قل:
«كلا. فأنا لم أره يوماً.»

فقاتل الزوجة باسمه نجدة:

— ليس هذا بجميل، فهو يكاد يلتهمنى ويفسد
على ما آكل

فهز الزوج كتفيه ثم قال:

— إن كان علينا أن نهتم بمن تلقى من الأراذل
فسوف لانسر ولا نهىء، لا تراعى ولا تلتقى له بالأ...
ولكن سنيول لم يستطع على هذا صبراً، فما
يهون عليه أن يضايقه دخيل غريب وما اعتاد
أن ترى إهانة فى وجهه عمداً وإصراراً، إن الغريب
يضايقه هو لا هي لأنه المضيف، إذن فلا هانة تلحقه
دون سواء، فوثب إلى الرجل قائلاً:

— أيها السيد! إنك تحدث فىهما بعين لا تدرك

كان المجتمع يكنيه «بسنيلو الجليل». أما
اسمه فكان الفيكونت جونتران جوزيف دى سنيول
وقد يسر له غناه ويومه أن يعيش عيشة ضاحكة
راضية... كان له أسلوب وشخصية. وله فى اللسان
طلاقة توهم الناس بأنه على حظ من التوفيق عظيم.
كانت له غيرة وأنفة، ووداعة يوحى بها طرفه العف
وجرأة يتم بها شأربه الصغير. وداعته تكلف بها
النساء، وتعشق حسنه الغيد الحسان.

كانت «الأمهات» تجد فى طلبه، والراقصات
الغيد يقفون أثره، وتنشدنه أنى يجلس أو يرقص،
فكان بذلك يثير على شقاء الرجال بسمة طالما ترفرف
عليها حين يمر بهم فتى جميل وسيم، وبأفئدتهم
نهماً بعلائق عدة، لا تليق إلا بأعزب مثله على
مثل حفله من غنى وجمال. كان يحيا باسمه حراً
يضحي فى نعيم وغبطة، ويمسى فى بلهنية وخلو بال؛
وكان فوق ذلك مبارزاً جباراً طوق الآفاق سمعه؛
يحارب بكل سلاح، وبخاصة السدس، فهو به
أشد على الغريم وأعتى. وكثيراً ما قال «إن كان
لا بد من الزوال فإنى أخو الرصاص، لأنى به على
خصمى قوى مكين»

ثم جلس وطلق يقدر ويفكر ... إذن لا بد له من اختيار وكيلين مع الصبح ، فمن يختار ؟ ومن ينتقى ؟ لقد فكر في أصدقائه الذين ينمون بين الناس بسميع كريم . فاصطفى من بينهم « بوردين » القائد والمركيز دى لاتوار نوار . لقد اتقى قائداً وشريفاً . إن هذا العظيم ! ولسوف تقع أسماؤه في الصحف موقفاً ما أمله وأحسته ... وأحس بأنه ظلم ، فشرب من الماء شرب الهيم ؛ ثم تابع الذرع والتفكير ... وأنس من نفسه بطشاً وقوة . فلو أنه تعاظم واشتط كأن ييدي رغبته في إبلاغ الأمر نهايته ، ويطلب شروطاً صارمة قاسية ؛ أو يصبر على نزال عنيف ، إذن لتخاذل غريمه ولرد البطاقة ثم اعتذر

واختطف البطاقة — بعد أن جذبها من جيبه ورماها على النضد — فقرأها مثلما قرأها في المشرب أول مرة ، وكما قرأها في المرة حين العودة مرة أخرى ؛ ومثلما قرأها على ضوء كل مصباح منير : « جورج لاميل ، ٥١ شارع مونسي »

وعاد يمتحن الحروف ؛ نقد تراءت له غريبة غامضة في ثناياها معنى مبهم أجوف ؛ جورج لاميل ؛ من هو ؟ وماهى حرفته ؟ وما كان ينبغي من التحديق في الغادة ؟ وأعاد سنبول تعجبه « أى وحش ! » إنه الآن يقف جامداً كالصم لا تسمع له نأمة ، ولا يحتاج له عضل ، وعينه اثنتان على البطاقة ... إنه يفكر ... وتمكن من قياده غضب جموح ، وقلق عظيم .. أى جنون قد أناه وأى فعل قدمه ؟ وتمكن منه كره للبطاقة وصاحبها . فأمسك بمذبة ماضية وفند

للذوق معي ، وإنى لا أطيق عليك صبراً ، فلفظ من شراحتك ، واغضض من بصرك !

ثم انبث الأجنبي أن قال :

— ألا فاذهب إلى الشيطان !

فخرج الفيكونت :

— حذار أيها السيد ! وإلا فانت دافعي إلى أن أتعدى حدود الأدب

ولم يجب السيد إلا بكلمة هازلة ماجنة ، ردد المشرب صداها ، وجعلت كل فرد يشب وثوباً ، فاستدار من ولاهما ظهره ، واشترأت رؤوس النازلين واستوقفت ثلاثة خدم ، ثم جعلت سيدتين تلبان عن متكأيهما كأنما لوليان واثبان

وأعقب ذلك سكون عميق ، شقه صوت حاد ، إذ صفع الفيكونت الرجل بيلغه دعوة المبارزة ... وتدخل الناس في الأمر ، وتبادل الطرفان بطاقتين وما عاد الفيكونت إلى بيته حتى جد في ذرع الأرض جيئة وذهاباً . لم يكن يفكر في أمر على حدة لأنه كان مضطرباً ... ولكن ثمة فكرة كانت تحوم على ذهنه وهى « المبارزة ! المبارزة » ولم تثر الفكرة شيئاً في نفسه ، فقد ألفها وأحبها . حقاً إنه عمل ما حق أن يعمل ؛ وقد ظهر بما يجب أن يظهر به فيكونت عظيم . سوف يتحدث الناس عنه ، ويؤيدون سلوكه وفعله . ثم يلقونه فرحين مهينين ... وصاح محدثاً نفسه ككل من ضاق صدره ، وشغل ذهنه بأمره :

— أى وحش كان الرجل !

لم يقفز قلبه هاماً من أى صوت ينبعث ؟ حتى من صوت الساعة إذا حان دقيها ... كانت حالة سيئة بالأسفة ... وبدأ يحاور نفسه في ذلك الأمر : أصبح أن في خوفاً وفزعاً ؟ كلا : إنه ليس بخائف ولا مخلوع القلب . فما عهده بقلبه إلا شجاعاً لا يخاف ولا يوجل ولكن ماله يحس بقلق مغير ؟ أيمكن أن يخاف المرء رغماً عنه وقهراً ؟

ويمكن هذا الشك من نفسه ، وانصب هذا الريب في قلبه . ماذا يحدث لو غلبته على أمره قوة قهرة أشد منه صلابة ومراساً ؟ نعم ماذا يحدث ؟ لا مناس له من الزلزال ولا تحيص ؛ ذلك بأنه هو الذى رغب الزلزال وأكده . لنفرض أن يده ترددت فاهتزت . أو لنفرض أنه راح في نوبة إغماء . أى بؤس إذن وأى شقاء ! أي ذكر يطيح وأى مجد يزول !

ولجت به إحدى الفكر أن يرى وجهه في المرآة فلماها ، ووقف لدى المرآة ثم أضاء المصباح ، فأنكر خياله ؛ إذ يرى شخصاً غريباً لا عهد له به ، أشعث الشعر مرتعد الشفاه . أسفر الوجه كثير الغضون وطريقته وهو أمام المرآة — فجأة — فكرة عصفت به عصف الريح العاتية :

— ربما كنت قتيلاً في مثل هذا الوقت من بعد غد ! واختلج قلبه لذلك حيناً وجفلاً ...

— ماذا ؟ ربما كنت في مثل الساعة من بعد غد قتيلاً ! ! ذلك الخيال ! خيالى الذى أدى ... مائلاً بين يدي ... بعد حين لا يكون ! ! أقف هنا —

بها البطاقة في صميم الذى تحمل ، كأنما هو يطعن غربتها إذن فلا بد لي أخيراً من زلزال ! ! أأختار الرصاص أم السيف ؟

إذن فقد اعتبر نفسه الطرف النهان . إنه يخاطر إذا ما اختار السيف . ولكنه موقن بانسحاب غريمه إن كان الرصاص . إن مبارزة بالسيوف قلما كانت شافية حاسمة . إذ في مقدور المتنازلين أن يتحاشيا الطعنات القاتلة بشيء من حذر وسرعة ، ولكن الرصاص كان على الغريتين بلاء . فهو رهان بالحياة والأمانى جميعاً . فغالب أو مغلوب ، وإن كنت الثانى فبئست الزكسة وسوء المآب ، أو الأول فثم نصر ونفخار

— لا أكن حازماً جباراً ، كي يخاف ويخشى . ولكنه ارتجف إذ سمع صوتاً من حوله . فالتفت عن يمين ويسار . لقد استشعر خوفاً وهلعاً . فاجترع كوباً من ماء ؛ وطفق يخلع رداءه متأهباً للنوم . ووثب إلى السرير ، فأطفأ المصباح ، فأغمض أعفانه ، وراح في فكر عميق

— إن لدى طول الغد أرتب فيه شأنى فلا أتم الآن حتى أصبح قوياً نشيطاً

وأنس الدفء بين طوايا الفراش الوثير . ولكنه ما استطاع أن يهجع قليلاً أو كثيراً ، إذ كان يتثنى ويتقلب ، فينام على ظهره فترة ، وينقلب إلى عطفه الأيمن ؛ فلا يلبث إلا رد الطرف حتى يفزع إلى الأيسر . ولج به المعطش فقام يشرب . وإذاك طريقته فكرة متعبة :

— أيمكن أن أكون خائفاً ؟

أمام المرأة - مؤقتاً بحياتي ووجودي وبعد أربع وعشرين ساعة أكون منظر حراً على الفراش قتيلاً؟ جثة باردة لاهية في ولا حراك؟! وتبقى عيناى مسبلتين أبداً لا تنفر جان لترى الدنيا وبهجتها!؟

والتفت إلى السرير، وتصور نفسه وهو على الفراش مسجى، يضمه السرير وتحضنه الأعطية. ثم عاود النظر في المرأة. فألقى خدي به فوراً كما غارت خدود الموتى، ويديه معروفتين لا تلبثان على حال وشعر حينذاك بخوف من السرير شديد. ودّ لو لم ير السرير من قبل أو يذق به طعم الكرى. ثم دخل حجرة التدخين كيلا يبصره وأشعل لنفسه سيجاراً دون وعى منه، وجد في ذرع البساط مراراً. لقد كان بارد الأعطاف مختل القوى، فسار نحو الجرس ليوقظ خادمه ولكنه امتنع في نصف المسافة قائلاً: - سيدرك خوفاً ذلك الخادم

ولم يقرع الجرس، بل أضرم لنفسه النار بيده وكانت يداه ترتجف إذ هي تلمس الأشياء جميعاً، كم عصفت برأسه العواصف وتلونت أفكاره الوجلي بلون الحزن والسواد، بل رانت على فؤاده غشية كأنها غشية الخمور... وكان يسائل نفسه بلا انقطاع: - والآن ماذا أفعل؟ والآن ماذا أفعل؟

وارتعدت لذاك فرائضه، وارتبهكت مفاصله فانتفض وعداً نحو النافذة فأزاح عنها الستائر والحجب. لقد تنفس الفجر، وأشرق يوم جميل صائف... كانت السماء الدامية تعكس على الأفق والمنازل لوناً ذهبي فتكسب الجو جمالاً ورقة وأرسلت ذكاء فوجاً من نورها يحضن الكون، ويهيه فيضاً من

بقضلة وحياة، وأرسل إلى الفيكونت التمس قبساً من أمل... أهو مجنون حتى يبيح للخوف أن ينصب في قلبه ويفسد عليه نفسه وهو بعد لا يدري هل قابل وكيلاه وكيلى جورج لامليل فكتب عليهما القتال، أم يجد الله له من كل ذلك مخرجاً؟

وأخيراً قام، فارتدى ثيابه، فترك الدار بعزم جديد وكثيراً ما ردد في نفسه أثناء سيره: - عليّ أن أكون حازماً... حازماً جهد الحزم! لأثبتن إني على البلاء قوى مكين...

وجاءه وكيلاه، فلما سلما جلسا يبحثان الشروط فقال القائد:

- أنود أن يكون الزال صارماً؟

- صارماً جباراً

- وما زلت تصر على الرصاص؟

- نعم!

- أتدعنا نرتب لك باقى الأمر؟

فأجابه الفيكونت في صوت جاف خفيض:

- عشرون خطوة... إطلاق الرصاص لدى

الإشارة... رفع الذراع بدلاً من خفضه... تبادل الطلقات حتى يجرح أحداً جرحاً بليغاً...

- شروط جيدة... وإنك لمن خير الرماة؛

وإنك لعلى حظ عظيم.

ولما افترقوا عاد سنيول إلى بيته مرة أخرى: وكانت حاله تزداد سوءاً كل حين. فقد كان يستشعر رعدة تتمشى في ساقيه وزنديه وفي صدره. ولم يكن يستريح إلى جلوس أو رقاد. وكان يدير لسانه في شدقيه من حين لآخر ثم يمر به سريماً

ولما جنته السكون مرة أخرى ظن أنه
مجنون ... وأخيراً جلس إلى مكتبه يخط بعض
الرسائل ، وادّكر فهم يخط وصية فلم يرد على قوله :
« ألا إن تلك رغبتى ... » حتى قفز عن المكتب
مؤمناً بأنه لا يقوى على ربط فكرتين معاً ، ولا
يستطيع تقرير شيء مهما صغر ، أو الإجابة على
سؤال مهما قل

إذن فلامناص له من النزال . لقد أضى اجتنابه
قوت يده ... إنه يريد النزال مصراً عليه ، ولكنه
يعلم بأنه على رغم جهود ذهنه وعزم إرادته لن يستطيع أن
يحتفظ بقواه الكاملة ؛ أو حتى بقواه التي تحملها إلى
حومة النزال ... وحاول أن يتصور المباراة وكيف
يدخلها فيؤديها فيخرج منها . أخرج جرباً طريخاً
أم يخرج سليماً غوراً ؟ ... وكانت أسنانه تصطك
من حين لآخر ... وأراد القراءة فأمسك بقانون
شاتو فيلار المدني ولكنه عاد يسأل نفسه :

— أغشى غريمى حلبات النزال كثيراً ؟ وهل
هو معروف ؟ ومن أى الطبقات هو ؟ من لى بكل هذا ؟
وادكر إذ ذاك كتاب البارون دى فوكس عن
مشاهير الرماة . أتى به وتصفحه ورقة ورقة ولم يكن
به اسم ذلك جورج لاميلى . على أنه لو لم يكن من
خير الرماة لما قبل الشروط القاسية ، ووافق على
السلاح الخطر . وكان بقرب المكتب فأخرج من
درجه مسدسه الكبير ، ورفع يده كمن يسدده إلى
هدف بعيد ، ولكنه كان يرتجف من فرعه لأخص
قدمه . لو استمر على تلك الحال لخسر الدنيا والآخرة
فلا هو منصور ولا هو خالده ! وقال فى نفسه : « إن
هذا مستحيل ! لا أستطيع النزال » وأمسك
بالمسدس بفحصه ويخبره ... حذق ملياً فى فوهته
العميقة تلك التى تقذف الموت الأحمر لمن يريد ومن

على شفثيه ليزيل ما علاهما من زبد الخوف والوجل
وقد حاول أن يفطر فلم يستسغ طمأ . وسنح
له أن يشرب ليجدد قواه الخائرة ، فاجترع ستة
من الأكواب الصغيرة بعضها يكسع بعضاً فأنس
الدفء فى جسمه وصفت روحه

— هذا حسن ! لقد عثرت على الطريق !
ولكنه أفرغ الزجاجه فيما يقرب من الساعة ،
وحاله لما تهدأ ولم يقربها قرار ؛ وأحس برغبة جامحة
تلعج عليه أن يتمرغ فى الأرض ويمضها ثم يبكى !!
وطوى الليل النهار
ودق وكيلاه الجرس ، وكانت دقة الجرس
هذه كفيلة بأن تثبته على السرير هلعاً جزوعاً
لا يستطيع حراكاً ولا قولاً ، فلم يقدر على السلام
ولا التحية ، بل لم يجزؤ ، خشية أن يعرفوا من رجفة
الصوت حاله ، وقال القائد :

— لقد تم كل شيء حسبما تريد وترضى فقد
كان غريمك يقول بأنه الطرف المهان
ولكن سرعان ما أقطع عن هذا ورضى الشروط
القاسية ! ووكيلاه رجلان من رجال الجيش
— شكراً لكما

واعتذر المركز قائلاً : « أسمح لنا بالخروج
لنرتب الأمور الباقية ، فلا يزال أمامنا أن نأتى بطبيب ،
فأنت تعلم أن الرصاص ليس من الأمور الهينة ، وأن
نبحث عن حومة النزال متوخين فيها القرب من
البيوت العاصرة ، ليتسنى لنا نقل الجريح لو دعت الحال »
ونجح الفيكونت فى أن يقول مرة أخرى :
« شكراً لكما »

وعاد القائد يسأله :

— أنت على ما تحب من الهدوء ؟

— نعم ! أشكرك !

وانسحب الرجلان على الأثر

فقد فاز فوزاً عظيماً . وإلا فقد ضاع ضياعاً مبيهاً .
ذلك بأن الهزؤ يلاحقه ، والنوادى تلفظه ، والمحافل
ترفضه ، والغواوى تبغضه ... كان يحس بكل ذلك ،
ولكنه لم يكن يملك انفسه من غريمها شيئاً . ومع
ذلك فقد كان نبيلاً شجاعاً لأنه يريد النزال ويطلبه .
لقد كان نبيلاً شجاعاً لأنه ...

لم تكن تلك الفكرة التى استولت على ذهنه
لتكمل ... ففقره ، وصوب بفوهة السلاح إلى فيه ،
ثم ضغط على الزناد فخر قتيلاً يتشحط فى الدماء القانية
وأهرع خادمه إليه حين سمع الدوى فألقاه لدى
الباب قتيلاً ، وألقى الدم قد سال منه على ورقة فوق
النضد . لقد كانت بيضاء كتب بأعلاها :
« ألا إن تلك رغبتى ... »

سير محمد العزاري

لا يريد ... وازدحت حينذاك برأسه الأفكار ...
فكر فى عازله إذا غلب على أمره فهو جريح أوقيل ...
فكر فى لفظ النوادى وهمس الصحاب وغمز العيون .
وفى سخرية الصالونات ... وفى بسات الهزء ايماءة
الرؤوس ... وطفق بصور ما سوف يجسر على قوله
الجبناء ... وما سوف تكتبه الصحف ... وما سوف
تقوله الغيد الحسان ...

وظل محققاً فى فوهة السلاح مدة . ثم دفع
«سلم الأمان» إلى الأمام استعداداً للعمل ، ولم يكن
يرى ضرورة لحشوه ؛ فقد كان موقناً بأن ما به من
الرصاص يكفى
وأحس بفرح مضطرب يغمره ويغمر فؤاده
الرديد ...

حقاً إنه لو أفلح فى فرض الرهبة على قلب الغريم

عليكم المصري يرفرف على

النيل و كوثر

فهما رمزا بلادكم

سافروا عليهما تجدوا راحتكم المنشودة

غرف فاخرة .. طعام شهى .. خدمة كاملة

اتصلوا بشركة مصر للسياحة

شارع ابراهيم باشا رقم ٤٩